Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا تنفذ إلى ما وراء قشرة الظواهر ويظل باب النفس ، باب الحقيقة ، أمامها مغلقاً مجهولاً !

إنّ مزاج باحثة البادية العصبي الصفراوي وجنسها النسائي ، وقوة عواطفها وحدّة ذكائها ـ كل ذلك كان مشتركاً في تكوين طبيعتها السريعة الإنفعال وواضعاً فيها قابليةً شديدة للألم وإستعداداً كبيراً لمشاهدة الأشياء والحوادث من وراء غشاءٍ قاتم . إقرأ كل ما كتبته تجد انيناً متواصلاً يخترقه من أوله إلى آخره . وذلك الأنين الذي يكاد يكون رِكزاً ينقلب ساعة الوجع الشديد زئيراً وعويلاً .

هذا المزاج النسائي وهذه الذاتية الأدبية ، وهذه الكاتبة التي لم تدوِّن أفكارها (على ما يظهر لي من لهجة فصولها) إلا تحت التأثير وفي ساعة الإنفعال ، هي ما أقصد درسهُ في هذا البحث الذي قسَّمتهُ إلى أجزاءٍ ستة هي : المرأة ، والمسلمة ، والمصرية ، والكاتبة ، والناقدة ، والمصلحة . لأن في هذا التقسيم تسهيلاً كبيراً لتفصيل الصفات الأدبية والمميزات الكتابية . وسنرى في الفصول الآتية كيف تبرزُ « الباحثة » قيمة في كل جزء من هذه الأجزاء . ولنا من كتاباتها ما يسند إليه الرأي ويستخرج منه التعليل . بل لنا منها ما يبعث بالأشعة إلى تلك الصفحات التي كُتبت عن البيئة المصرية ولها ، فيمكننا أن نقدّر باحثة البادية قدرها ونحب من وراء حجب الموت تلك الذاتية النادرة التي مرت في الحياة كحلم جميل .

أعترف بأني في حاجة إلى بعض المجاهدة لأتغلب على نفسي مبعدة من أمام ناظري خيالها البسام ، ومحاولة نسيان المرأة كما عرفتُها كيلا أتأثر إلا بفكر الكاتبة المنشور على الصفحات البيضاء خطوطاً سوداء . غير أني أعود فأقول أن التأثر بمعرفة المرء الشخصية ليس بالأمر المذموم بل هو غزير الفائدة . لأن الذين يعرفون كاتباً خارج فصوله يستعينون بتلك المعرفة على قدر تلك الفصول ، ويستخرجون من أحاديثه الشفاهية ما يؤيد أقواله الكتابية ويعزّزها .